الطريق إلى بيت لحم[1]

❀ ❀ ❀

بيت لحم هي القرية الصغيرة (ملاخي ٥: ٢) التي اختارها إلهنا يسوع ليولد ويتحد بطبيعتنا فيها. هي صغيرة جدًّا حتى إنها لم تدخل في جداول أملاك يهوذا (يش ١٥)، ولكن تمَّ فيها ميلاد رأس الخليقة الجديدة، رأس البشرية الجديدة، يسوع الكلمة المُتجسِّد. وكما يقول أحد الآباء هي مسقط رأس البشرية كلها في شخص آدم الثاني. هي ليست بعيدة عن أورشليم، فهي تبعُد بضعة كيلومترات جنوب أورشليم، ولا بد من المرور عليها قبل الوصول لأورشليم، ولكن صغرها جعلها مُهملة ولا يخطر على بال إنسان أن يُولد فيها آدم الثاني، رأس الخليقة الجديدة. إن بيت لحم، يا أخي، هي المكان الوحيد الذي يمكن أن نكتشف فيه حقيقتنا الجديدة.

■ **ربي يسوع، لقد وُلِدتَ في بيت لحم حقًا، أنا أعرف ذلك جيدًا عن طريق الأنبياء وعن طريق الإنجيل والكنيسة والكُتُب؛ ولكن أتضرَّع إليك أن تُرشدني وتهديني بنجمك السماوي للوصول إليك.**

الله وحده هو الذي يرشد للطريق:

فالنجم السماوي هو الذي أرشد المجوس، والملائكة هم الذين أرشدوا الرعاة. إن حكمة المجوس قاصرة بدون النجم، وإرشادات الكُتُب قاصرة بدون النجم، وسلطان هيرودس مُضلِّل. وهكذا فليعلم كل إنسان في كل مراحل حياته، أنه لا وصول إلى طفل بيت لحم بدون عمل الروح القدس: «لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الابْنُ إِلَّا الآبُ، وَلَا مَنْ هُوَ الآبُ إِلَّا الابْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ» (لو ١٠: ٢٢).

■ **ربي يسوع، في اتضاعٍ واعترافٍ بالعجز، أتضرَّع إليك، أن تُعلن لي عن ذاتك في بيت لحم الصغيرة المتواضعة المجهولة.**

عقبات في الطريق:

إنَّ وصول المجوس لبيت لحم ربما كان أسهل لهم قبل وصولهم إلى أورشليم. وربما أنهم وصلوا

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد يناير ١٩٧١، ص ١٢.

إلى مشارف بيت لحم، ولكن صغر المدينة جعلهم لا يُصدِّقون أن فيها ملكَ الملوك. وربما ارتفاع مدينة أورشليم وأنوارها الباهرة، ووجود قصر الملك هيرودس فيها، جعلهم يتركون بيت لحم والنجم فوقها ويتَّجهون إلى أورشليم.

أولًا: أنوار أورشليم، العالم:

إن ضوء النجم صغير وهادئ، ولكن عندما اقترب المجوس من أورشليم بهرتهم أنوار أورشليم، فاختفى نور النجم من ذهنهم.

وكما أن أضواء أورشليم كادت أن تُفقد المجوس أتعاب رحلة طويلة في هداية النجم الوديع؛ كذلك فإن أضواء العالم الآن تكاد أن تُفقد الإنسان أتعاب رحلة طويلة من الجهاد الروحي في هداية الروح القدس والكنيسة.

+ وهكذا في طريق الإنسان إلى يسوع، إلى بيت لحم، سيمر الإنسان على أنوار زائلة ومباهج باطلة، تحجب عنه رؤية الطفل الوديع.
+ وسيمر على مراكز العالم، فتغيب عنه قيمة يسوع في المذود الحقير.
+ وسيمر على مبادئ العالم من ظلم وغش وخداع وحب للسيطرة، فتغيب عنه مبادئ محبة الأعداء والتسامح والاحتمال، ويمتلئ القلب بالحقد والكراهية.
+ وسيمر على حب الملكية والذات، فيحتقر طفل المذود. وسيمتلئ القلب بمحبة العالم والذات، ويبتعد عن محبة الله. ويُمجِّد الإنسان حب الذات، فيستحيل عليه اللقاء بطفل المذود يسوع، صاحب الصليب.
+ وسيمر على سهرات رأس السنة وأكلها ومسارحها، فتغيب عنه سهرة الرعاة في بيت لحم مع الملائكة.
+ وسيمر على شهوات العالم وجنونه نحو الجنس، فتغيب عنه طهارة بيت لحم، والقدوس مولود فيها، وحوله الملائكة القديسون.
+ وستمر الكنيسة على عظمة الأبنية والمؤسسات الاجتماعية وأُبَّهتها، فتغيبُ عنها بساطة المذود ورسالة الخلاص.

يا بيت لحم، كيف أصِل إليكِ! أضواء العالم أبعدتني عنكِ، مع أنكِ قريبة جدًّا.

■ **ربي يسوع، أرشدني في عيد ميلادك إلى مكانك في بيت لحم، ولا تسمح لأي شيء من العالم أن يحجب رؤيتي لنجمك الهادئ، ويحرمني منك! كيف أُعيِّد عيدك بدون الوصول إلى بيت لحمك؟!**

ثانيًا: صِغَر وحقارة بيت لحم:

النفوس المتكبِّرة لن تصل أبدًا إلى بيت لحم، فهي مكان الطفل الوديع المتواضع القلب.

هيرودس لن يصل إلى بيت لحم (إلَّا ليقتل الأبرياء)، لأنها متواضعة بجانب أورشليم. وهل هناك وجه للمقارنة بين قصره العظيم والمذود الحقير؟

أما الكَتَبَة والفرِّيسيون ورؤساء الكهنة الذين معهم مفاتيح المعرفة وأسرار النبوات، فكبرياؤهم يحرمهم من الذهاب إلى بيت لحم.

- **ربي يسوع: عندما أُراجع نفسي أرى أنني كثيرًا ما بحثتُ عن الخدمة الكبيرة في المدينة الكبيرة، وفي حياتي الخاصة كنتُ أبعد عن الأعمال المتواضعة، وأترفَّع عنها. أُصادق العائلات الغنية الراقية، وليس لي عائلة واحدة متواضعة صديقة لي. في حياتي لم أصنع وليمة واحدة للفقراء والمساكين، بل كثيرًا ما صنعتُ ذلك لأغنياء جيراني (لو ١٤: ١٢).**
- **ربي يسوع: إني أحسُّ أني وسط زحمة أعمال الخدمة الكثيرة، في وسط كاتدرائيتي العظيمة، قد بعدتُ كثيرًا عن بيت لحم. فنسيتُ العمل البسيط والإنسان الوديع والمسكين، وصادقتُ الغني والأنيق في مظهره أو مظهرها، وأهملتُ المُتعَب والضعيف والذي في ضيق نفسي.**
- **ربي يسوع، أخاف أن أكون بعيدًا جدًّا عن بيت لحم. لكن نجمك السماوي وحده هو الذي يُرشدني. لذلك أتضرَّع إليك في عيد ميلادك، أن لا تُهملني، بل أرشدني لأتمتع بك.**

ثالثًا: المذود كل ما فيه من السماء:

كل ما في مذود بيت لحم هو من السماء، الرب من السماء، الملائكة من السماء، الترتيل من السماء، والأفكار متجهة للسماء. أمَّا خارج المذود، فكل شيء مادي: هموم وأفكار الغِنى واللبس والأكل والصراع واهتمامات الجسد، والشكل والزينة ... كل شيء مادي.

لا بد لِمَن يريد أن يتلاقى مع طفل المذود أن يعلم أنه ليس من هذا العالم. وهو قد أتى لكي يجعلنا أبناءً لله السماوي. الإنسان الأول آدم من التراب، والإنسان الثاني الرب من السماء. الذي يهتم بالجسد الترابي هو يعمل لحساب الخلقة الأولى؛ أمَّا الإنسان المولود من فوق، فهو الذي يهتم بطفل بيت لحم، المولود بالروح القدس، من العذراء، الرب من السماء.

يا إخوتي، ميلاد يسوع هو ميلادنا من السماء، الذي ننالـه بالمعمودية. المولود من الجسد جسد هو، أمَّا المولود من الروح فهو روح: «وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ

الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ» (١كو ٢: ١٢). «وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لَا يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ» (١كو ٢: ١٤).

+ إنَّ التوبة عن الاهتمامات الأرضية هي الطريق إلى بيت لحم.

■ **ربي يسوع: أعطني توبة كل يوم، عن كلِّ همٍّ في القلب، لكي أراك كل أيام حياتي: "لأنَ أنقياءَ القلبِ يُعاينون اللهَ" (انظر: مت٥: ٨).**

بيت الخبز:

بيت لحم معناها بيت الخبز: "لأنك أنت يا رب هو الخبز النازل من السماء الواهب حياة للعالم" (انظر: يو٦: ٣٣). إنَّ طفل بيت الخبز هو طعامنا، ومن أجله جاء المجوس والرعاة الجياع إلى البر ليشبعوا. أمَّا أورشليم الساهرة حول مائدة البطون، فهي محرومة من الخبز النازل من السماء، الواهب حياة للعالم.

■ **ربي يسوع: أعطني أن أفيق من غفلتي، وأُسرع إلى بيت لحم، لأن فيها غذائي السماوي. أعطني أن أحترز من خِمار وسُكر هذا العالم، وأُسرع إلى بيت الخبز حيث تُقدِّم لي ذاتك على المذبح، لأحيا بك إلى الأبد.**

بيت لحم ليست صغيرة:

هكذا قال ملاخي النبي، إنها ليست صغيرة، لأن الله مولودٌ فيها. ليس في المذود إنسانٌ فقير، لأن يسوع افتقر ليُغنينا. وليس في المذود إنسانٌ صغير، لأن الكلَّ بالطفل عظيمٌ. وليس في المذود رائحة الموت، لأن الحياة الأبدية قد أُظهرت في طفل مُقَمَّطٍ في مذود. وليس في المذود خوفٌ ولا قلق ولا مرض نفسي، لأن ملك السلام كائنٌ في وسطه. وليس في المذود حقدٌ وغيظٌ واضطراب قلب، لأن الله المحبة قد وُلد فيه. هذه هي اختبارات رحلة بيت لحم. وهذه هي تصريحات طفل المذود: «لَا تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ ... لَا تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ ... ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ ... سلامي أعطيكم، لَا يَنْزِعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ ...» (لو ١٢: ٣٢، مت ١٠: ٢٨، يو ١٦: ٣٣، ٢٧، يو١٦: ٢٢).

هذه هي ثمار ميلادنا الفوقاني من الماء والروح، حيث نبدأ من بيت لحم، في شخص الطفل. الكلمة الذي صار جسدًا فوهبنا حياة جديدة، صرنا بها أولادًا للآب السماوي. ليس فينا فقير أو ضعيف أو مريض، لأننا أبناء الله العظيم: «فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَاكُ: لَا تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: إِنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهَذِهِ لَكُمُ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلًا مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ» (لو ٢: ١٠-١٢)!! لك المجد يا رب.